سقوط الدولة الفاطمية في المغرب ونبذ التشيع

د. عبد الرؤوف جرار *

* أستاذ مساعد، مشرف أكاديمي متفرغ، منطقة جنين التعليمية، جامعة القدس المفتوحة.

ملخص:

تناول البحث سقوط الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، ونبذ سكانها الفكر الشيعي الإسماعيلي الذي كان سائداً في الدولة الفاطمية، ومن ثم عودتهم إلى نهج أهل السنة، وذلك على مذهب الإمام مالك بن أنس، وقد اختيرت هذه الفترة التاريخية المهمة من الدولة الفاطمية لتكون موضوع الدراسة؛ لأنها تعد فترة حاسمة في وقف امتداد الفكر الشيعي، وانحساره من بلاد المغرب.

كما أبرز البحث طموحات بني زيري الصنهاجيين في تحقيق الاستقلال عن الدولة الفاطمية، وقد تحقق لهم ذلك زمن المعز بن باديس رابع الأمراء الزيريين، الذي أعلن ولاءه الاسمي لبني العباس، ونبذ التشيع، وقتل دعاة الفكر الإسماعيلي، وتم له ذلك بسبب عجز الدولة الفاطمية عن استعادة بلاد المغرب، سوى أنها قامت بإغراء قبائل بني هلال وسليم بالهجرة من مصر إلى المغرب؛ لمهاجمة الدولة الزيرية.

وتناول البحث النتائج الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والديموغرافية التي نجمت عن هجرة قبائل بني هلال وسليم إلى المغرب، الذين لم يحققوا للدولة الفاطمية الأهداف التي من أجلها رغَّبتهم في الهجرة؛ لإعادة الفكر الشيعي الإسماعيلي إلى بلاد المغرب؛ الأمر الذي جعل بلاد المغرب منفصلة –سياسياً ودينياً– عن الدولة الفاطمية في مصر.

Abstract:

This research studies the fall of the Fatimia State in the Magrib. It also investigates its people denunciation of the Ismaeli Shiite thought as they preferred the Sunni doctrine as approached by Malik Bin Annas. The researcher studies the period of the Fatamia State fall down as it has an important role in stopping the Shiite thought which was confined to the Magrib region.

The researcher also shows Bani Ziri , the Sinhagyin, tremendous attempts to gain independence from the Fatimia State. They managed to achieve that during the reign of Mua'iz Bin Badir who showed alliance to the Abbasids. He denounces the Shiite thought and killed most of its scholars. Because of the Fatimia State weakness, it arouse the tribes of Bani Hiala and Salim to emigrate from Egypt to Magrib in order to attack the Zizi state.

The research sheds the light on the political, social, economic and demographic outcomes of Bani Hilal and Saleem tribes' immigration after they fail to meet the Fatimia Sate expectations which result in a religious and political separation between the Fatimia State in Egypt and the Magrib region.

اعتقد الفاطميون بأنهم الأحق بزعامة المسلمين من غيرهم، لأنهم أبناء علي وفاطمة الزهراء رضي الله عنهما. وظل العلويون يناضلون في سبيل هذه الزعامة، بالسيف تارة، وبالمكيدة والدهاء تارة أخرى حتى توجت جهودهم بقيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب سنة (٢٩٧هـ/ ٩٠٩م) ، والتي قامت على أساس الفكر الشيعي الأسماعيلي القائم على تقديس الإمام وعصمته [١] .

اهتم الفاطميون بأمتلاك مصر منذ بداية قيام دولتهم لما تمتاز به من موقع جغرافي فريد في قلب العالم الإسلامي، يتيح لهم فرصة الاستيلاء على المراكز الإسلامية في المشرق، والقضاء على الخلافة العباسية المعادية للفاطميين [٢] .

في عهد المعز لدين الله الفاطمي نجح قائده جوهر الصقلي سنة (٣٥٨هـ/ ٩٦٩م) في السيطرة على مصر، وأقام الدعوة الفاطمية فيها [٣] ، وأصبحت القاهرة التي أسسها الفاطميون مقرا للقيادة العليا للدعوة الإسماعيلية والدولة الفاطمية، وأقيمت فيها معاهد خاصة لتعليم الفكر الشيعي الإسماعيلي ونشره [٤] ، وكان أشهرها جامع الأزهر.

انتقال المعز لدين الله من المغرب إلى مصر:

عندما أراد المعز لدين الله الفاطمي سنة (٣٦١هـ/ ٩٧١م) ، الرحيل إلى مصر، عمل على إبقاء النفوذ الفاطمي في بلاد المغرب، مع أنه كان يدرك أن استمراره لن يدوم طويلاً لمعرفته بشدة البربر، وطبيعتهم الثورية [٥] ، وأن الصحراء التي تفصل مصر عن بلاد المغرب سوف تحول دون فرض سلطانه على قبائل البربر، التي خبرها عن كثب، وعرف مقدار قوتها، وشدة بأسها [٦] .

رأى المعز أن خير وسيلة للاحتفاظ بتبعية المغرب للفاطميين، أن يعمل على إضعافه بإثارة الفتن والتنافس بين قبائله، حتى تبقى الحروب متواصلة بينها، وكي لا يفكر أهل المغرب في الخروج عن طاعة الفاطميين [٧] .

أخذ المعز لدين الله يفكر فيمن يخلفه في بلاد المغرب [٨] ، ويكفيه همَّ زناتة، وكانت كتامة صادقة التشيع، لكنها غير مجاورة لزناته [٩] ، وكثير من أبطالها قتلوا أثناء تأسس الدولة، وتسكين الثورات، ثم من أجل السيطرة على مصر والشام [١٠] ، فاستدعى أبا أحمد جعفر بن علي [١١] الأمير، وأسرَّ إليه أنه يريد استخلافه على المغرب، إذ كان جعفر من

الأسر الأندلسية المهاجرة إلى بلاد المغرب، وبالتالي ليس له عصبية هناك تساعده على الانفصال إذا ما حدثته نفسه بذلك يوما من الأيام [١٢] . لكن جعفر اشترط عليه لقبول هذا المنصب شروطاً تؤدي في النهاية إلى انفصال المغرب عن الدولة الفاطمية في مصر، وقال للمعز: «تترك معي أحد أولادك أو أخوتك وأنا أدبر، ولا تسألني عن شيء من الأموال، إن كان ما أجبيه بإزاء ما أنفقه، وإذا أردتُ أمراً فعلته، ولم أنتظر ورود الأمر فيه، لبعد مابين مصر والمغرب، ويكون تقليدياً للقضاء والخراج وغيره من قبل نفسي [١٣] » فغضب المعز، وقال: «يا جعفر عزلتني عن ملكي، وأردت أن تجعل لي شريكاً في أمري، واستبددت بالأموال والأعمال دوني، قم فقد أخطأت حظك وما أصبت رشدك» [١٤] ، فخرج من عنده، فبعث المعز إلى بلكين [١٥] بن زيري، وكان متوغلاً في المغرب في حروب زناته [١٦] ، وكان بلكين عظيم قبيلة صنهاجة بعد أبيه زيرى [١٧] .

وقال له المعز: «تأهب لخلافة المغرب [١٨] » فأكبر بلكين ذلك وأظهر لباقة وكياسة في الرد، وقال للمعز: «يا مولانا: أنت وآباؤك الأئمة من ولد رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ما صفا لكم المغرب، فكيف يصفو لي وأنا صنهاجي بربري؟ [١٩] » فقال المعز: «قتلني يا مولاي بلا سيف ولا رمح [٢٠] » فما زال به المعز حتى أجاب بشرط أن يولي المعز القضاء والخراج لمن يراه مناسباً لذلك، ويجعل الخبر لمن يثق به، ويجعله قائماً بين أيدي هؤلاء، فمن استعصى عليهم يأمره هؤلاء به حتى يعمل به ما يجب، ويكون الأمر لهم، ويصير كالخادم بين أولئك [٢١] .

استحسن المعز الفاطمي ما قاله بلكين وأثنى عليه ، فولاه أمر أفريقية والمغرب باستثناء صقلية وطرابلس [٢٢] ، وإجدابية وسرت، وجعل على جباية الأموال زياد الله بن القديم، وعلى الخراج عبد الجبار الخراساني، وحسين بن خلف الموصدي، وأمرهم بالانقياد إلى بلكين بن زيري [٢٣] ، وكتب إلى عماله بذلك، وأمرهم بطاعته [٢٤] ، فلما انصرف، التفت أبو طالب عم المعز إليه، وقال: «وتثق يا مولانا بهذا القول فقال المعز يا عمنا كم بين قول بلكين وقول جعفر وأن الأمر الذي طلبه جعفر هو آخر ما يصير إليه أمر بلكين، فإذا طالت المدة سينفرد بالأمر» [٢٥] .

إذا أمعنا النظر في الأقوال السالفة الذكر نجد أن المعز لدين الله كان يعلم مسبقا بان المغرب سوف ينفصل عن الدولة الفاطمية، وأن ما قاله جعفر بن علي سوف يفعله بلكين أو أبناؤه في ما بعد، وكان من الطبيعي أن يتجه الأمراء الزيريون نحو الاستقلال، لكن هذه العملية استغرقت وقتا طويلا، ومرت بمراحل عدة حسب الظروف والأحوال.

أُنزل بلكين القيروان، فأعطاه المعز الفاطمي اسماً عربياً إسلامياً، فسماه يوسف وكناه أبا الفتوح ولقبه سيف العزيز بالله، وكان المعز يثق بآل زيري بن مناد؛ لأنهم خدموا الفاطميين بإخلاص [٢٦] ، وكان لديهم المهارة السياسية والقدرة على حل المشكلات[٢٧]، بالإضافة إلى أنهم ينتمون إلى قبيلة صنهاجة أعظم قبائل البربر البرانس، وأوفرها قوة، وأشدها تأييداً للدعوة الفاطمية، ووقف أفرادها إلى جانب كتامة حليفة الفاطميين ومساهماتها في الجهود التي بذلها الفاطميون في سبيل تأسيس دولتهم، وبسط سلطانهم على أرجاء المغرب كافة، والتصدي لنشاط زناتة حلفاء الأمويين في الأندلس [٢٨] . وقد فقد زيري شيخ صنهاجة حياته في أثناء حروبه مع زناتة سنة (٣٦٠هـ / ٩٧١م) وهي السنة السابقة مباشرةً لانتقال المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر [٢٩].

أخذ المعز بعد ذلك يتجهز للرحيل إلى مصر، وقد استحثه جوهر وألح عليه بالحضور[٣٠]؛ لأن القرامطة قتلوا جعفر بن فلاح الكتامي على أبواب دمشق [٣١] ودخلوا مصر ليحاربوه عليها، وقبل أن ينتهي عام (٣٦١هـ/ ٩٧٢م)، كان المعز قد فرغ من تنظيم شؤون المغرب، فعقد في مدينة المنصورة مجلساً عامّاً مع كبار رجال الدولة وشيوخ القبائل، وأعلمهم انه سيترك البلاد، ويستقر في مقره الذي اختاره بمدينة القاهرة وأنه استخلف عليهم بلكين [٣٢] ، وعهد إليه أن يغزو المغرب الأقصى؛ للقضاء على النفوذ الأموي القادم من الأندلس، إلا أن تولية بلكين أثارت جعفر بن علي أمير الزاب، فارتحل إلى الأندلس مستنجداً بالحكم المستنصر [٣٣] وأخذ المعز معه إلى مصر الذخائر والأموال وسبك الدنانير [٣٤] ، وكذلك توابيت أبائه وأجداده [٣٥] ، فيما يعني عدم التفكير نهائياً في العودة إلى تلك البلاد، التي امتحنت فيها أسرته حتى أشرفت على الهلاك أو كادت [٣٦] .

خرج المعز الفاطمي من المغرب يوم الاثنين لثمان بقين من شوال سنة إحدى وستين وثلاثمائة [٣٧] ، وشيعه بلكين حتى وصل إلى مكان يسمى آبار الخشب فأمره المعز بالرجوع وقال له عند وداعه: «إن نسيت شيئاً مما أوصيتك به، فلا تنسى ثلاثة أشياء: لا ترفع الجباية عن أهل البادية، ولا ترفع السيف عن البربر، ولا تولّ أحداً من أخوتك وبني عمك، فإنهم يرون أنهم أحق بهذا الأمر منك واستوص بالحضر خيرا [٣٨] » .

المرحلة الأولى من انفصال المغرب:

وبرحيل المعز إلى مصر بدأ عهدٌ جديدٌ في بلاد إفريقيا والمغرب يمكن أن نعده نهاية لمرحلة من تاريخ الشمال الإفريقي في عصوره الإسلامية [٣٩] ، والتي لم تدم سوى نصف

قرن، وأرسيت قواعد دولة بربرية مستقلة رغم الاحتياطات والضمانات التي وضعها المعز الفاطمي، لاستمرار نفوذه في بلاد المغرب، إلا أن صاحب السيف ينتهي دائما باصطناع صاحب القلم (٤٠).

لم يتمكن بلكين من الإقامة طويلاً في القيروان الخاضعة لسيطرة فقهاء السنة أعداء الفكر الشيعي، فارتحل إلى المنصورية بعيداً عن القيروان، ثم هاجم قبيلة زناته فهزمهم، واستأصل شأفتهم، وفتح معاقلهم وسبى أموالهم وذراريرهم (٤١)، فسر المعز بذلك سرورا عظيماً؛ لأن زناته كانت قد خرجت عن طاعته (٤٢)، لكن المعز لدين **الله** الفاطمي توفى سنة (٣٦٥ هـ/ ٩٧٥م) وخلفه ابنه العزيز با**لله** (٤٣).

وفي سنة (٣٦٧هـ/ ٩٧٧م) عقد العزيز الفاطمي لبلكين على ولاية طرابلس وسرت وإجدابية زيادة على ولاية المغرب، فاستفحل بلكين بما أصبح له من ولاية على طرابلس، فاستمرت حروبه مع زناته، كما هاجم البصرة مركز علي بن حمدون فهدمها وخرب عمرانها، وسار بعد ذلك إلى أصيلا، ومنها إلى شالة مركز برغواطة، فغزاهم وقتل أميرهم ابن عيسى، وسبى من نسائهم وذراريرهم أعداداً كبيرة (٤٤)، وولى ابنه حماد على المغرب الأوسط، فكانت مرشحة لنيل الاستقلال في وقت مبكر.

فعل حماد ما فعله كل من يريد أن يؤسس دولة جديدة في المغرب، أي خط مدينة جديدة، وإن أدى ذلك إلى خراب مدينة قائمة، فهجر أشير لأسباب قد تكون دفاعية في الأساس واختار موقعاً، ربما كان مسكوناً في القديم، يقع على سفح جبل مرتفع يطل على شط الهضبة، وشيد فيه مدينة عرفت أولاً بقلعة بني حماد (٤٥).

لكن أبا الفتوح بلكين توفي سنة (٣٧٤هـ/ ٩٨٤م) في أثناء عودته إلى إفريقيا في بلده وار لنغو الواقعة بين سلجماسة وتلمسان، فخلفه على الإمارة ابنه المنصور بن بلكين بعد موافقة إخوته على تسلمه السلطة، وبويع بالإمارة في مسجد القيروان (٤٦)، وكان واليا على أشير، وقلده العزيز با**لله** الفاطمي أمر أفريقية والمغرب، فعقد المنصور لعمه أبي البهار على تاهرت (٤٧)، ولأخيه حماد على أشير ليساعده في ضبط بلاد المغرب الأوسط، وليمنع السبيل أمام العناصر المعادية له، والتي دأبت على التسلل من تلك الجهات للنيل من سلطانه، الأمر الذي مهد الطريق أمام حماد ليرقى مسرح الأحداث في بلاد المغرب (٤٨).

بدأ المنصور يفكر جدياً في التحرير والانفصال عن الفاطميين مخالفاً لسياسة والده بلكين، الذي ظل وفيا للفاطميين طوال حياته (٤٩)، وقد صرح المنصور بذلك علانية عندما توجه إليه وجوه الناس وشيوخ القيروان لتقديم التعزية والتهنئة بالإمارة قائلا: «إن أبي

وجدي أخذا الناس بالسيف قهراً، وأنا لا آخذهم إلا بالإحسان، وما أنا في هذا الملك ممن يولى بكتاب ويعزل بكتاب، لأني ورثته عن آبائي وأجدادي، وورثوه عن آبائهم وأجدادهم حمير [٥٠] » فكان ذلك إعلاناً من قبل الأمير الزيري بالاستقلال عن الدولة الفاطمية [٥١] ، وأنه صاحب حق شرعي في ولاية المغرب التي آلت إليه بالوراثة [٥٢] .

غضب العزيز بالله الفاطمي عندما سمع هذا القول، لكنه كان ما يزال يملك ورقة ضغط قوية، وهي جماعة المغاربة أي الكتاميون الذين رافقوا المعز الفاطمي إلى المشرق، وكانوا أقلية ذات نفوذ وامتيازات داخل النظام الفاطمي، ويخافون على مراكزهم إذا نبذت افريقية الدعوة الشيعية [٥٣] ، فبعث إليه العزيز بالله أبا الفهم حسن بن نصر الكتامي الخرساني سنة (٣٧٦هـ/ ٩٨٦م) ، وأظهر العداوة والبغضاء لصنهاجة، وخرج لقتالها، فضرب السكة، ونشر حوله الجند والعساكر ما كثر به جمعه [٥٤] ، ويبدو أن العزيز، كان يهدف من وراء ذلك إثارة قبائل كتامة على ولاية المغرب وإضعاف نفوذهم [٥٥] ، فكتب المنصور بن بلكين إلى العزيز بالله، يبلغه أمر أبي الفهم، فأرسل العزيز بالله رسولين ينهيانه عن التعرض له ومحاربة كتامة [٥٦] ، فغضب المنصور من ذلك واعتقلهما، وصمم على محاربة كتامة، فزحف بجيوشه سنة (٣٧٨هـ / ٩٨٨م) إلى كتامة، وضرب ميلة وسطيف مركز أبي الفهم، ثم التقى مع الكتاميين في موقعة انتهت بانتصاره عليهم وقتلهم، فهرب أبو الفهم إلى جبل وعر [٥٧] ، ونزل على أهله بني إبراهيم من كتامة فلم يستطيعوا حمايته [٥٨] ، فقبض عليه وكانت نهايته مأساة همجية مفجعة، إذ اقتيد أبو الفهم إلى حريم الأمير حيث ضرب ضرباً مبرحاً حتى أشرف على الموت، ثم أمر المنصور به فأخرج أمام الملأ، وقد بقيت فيه حشاشة من الروح، فَنُحِرَ، وشق بطنه، وأخرجت كبده فشويت وأكلت، كما شرَّح عبيد المنصور– من السودان الذين ربما كانوا أصلاً من أكلة لحوم البشر – لحمه وأكلوه حتى لم يبق إلا عظامه [٥٩] .

وبعد ذلك قام المنصور بعملية تطهير في كتامة، وقتل عدداً من الدعاة وزعماء كتامة كان أبرزهم والي ميلة، وأُنزل بكتامة الذل والهوان [٦٠] ، وعهد بولاية كتامة إلى القائد أبي زعبل بن مسلم الذي فرق أولاده في أعمالها [٦١] ، ثم عاد المنصور إلى أشير، ثم أطلق سراح الرسولين، فلحقا البلاط الفاطمي، وأخبرا العزيز بما حصل لأبي الفهم وقالا: «جئنا من عند شياطين يأكلون الناس» [٦٢] فلما رأى العزيز فشل خطته، آثر أن يصطنع سياسة الملاطفة، فأرسل إلى المنصور هدية جليلة بينها فيل كبير [٦٣] ، في المقابل عاد المنصور بن بلكين إلى طاعة الفاطميين، وأكد من جديد صلات المودة والولاء، وأوقف التحرك نحو الاستقلال [٦٤] ، لكن قبيلة كتامة لم تستسلم للمنصور، وقامت بانتفاضة في السنة التالية (٣٧٩هـ/

٩٨٩م) ، حيث قام رجل اسمه أبو الفرج، ادعى أنه من أولاد الأمراء بالمهديه [٦٥] ، وانتسب إلى القائم بن المهدي [٦٦] ، الأمر الذي قد يفسر وصفه بالدّعي، ونسبته إلى اليهود، حسب مقاله المتشككين في صحة النسب الفاطمي. ومما يجدر ذكره أن استجابة كتامة لدعوة أبي الفرج كانت تلقائيا [٦٧] ، إذ احتشد الكثيرون حوله، مما دعا إلى اتخاذ الطبول والبنود كعسكر شرعي، الأمر الذي يؤكد اتخاذه السكة [٦٨] كما فعل أبو الفهم الخراساني.

زحف أبو الفرج لقتال أبي زعبل عامل المنصور على ميلة وسطيف، وحدث بينهما حوادث كبرى وحروب عظيمة، أشد من وقائع أبي الفهم وأعظم [٦٩] ، ثم زحف أبو الفرج في عساكر كتامة لقتال المنصور، فكان بينهما حروب شديدة أسفرت عن هزيمة أبي الفرج وكتامة، فقتل منهم مقتلاً عظيماً، واختفى أبو الفرج في غار، فوثب عليه غلامان كانا له، وأتيا به إلى المنصور الذي قتله شر قتله [٧٠] ، وأغرق بلاد كتامة بالعساكر وبث عماله فيها لتمهيدها وجباية خراجها، ولم يجد الفاطميون سبيلاً لإضعاف صنهاجة غير أنهم أعانوا زناته لتحل محل كتامة في مقارعة صنهاجة [٧١] .

لا شك في أن هاتين الثورتين قد أضعفتا قوة كتامة، ومكنتا صنهاجة من بسط سيطرتها التامة على نصف المغرب الشرقي، أما القسم الغربي فقد ترك لزناتة والأمويين في الأندلس من أجل توازن القوى بين صنهاجة وزناتة، رغم سياسة العزيز العدائية نحو الأندلس [٧٢] .

وفي سنة (٣٨٦هـ/ ٩٩٧م) ، توفي العزيز بالله الفاطمي، ليخلفه في الحكم ابنه الحاكم بأمر الله [٧٣] ، كما توفي في السنة نفسها المنصور الصنهاجي، فقام بأمره ابنه باديس وعقد لعمه يطوفت على تاهرت [٧٤] ، واستمرت علاقته مع القاهرة كما أرادها الحاكم بأمر الله، لكن هذه العلاقات كانت – في الواقع– قناعاً زائفاً يخفي وراء ما كان قائما بالفعل بين الحاكم بأمر الله وباديس من حقد وعداء، فقد كان الحاكم يضمر في نفسه السوء لباديس، فأخذ يحيك له المؤامرات متبعاً الخطة نفسها التي كان يتبعها العزيز بالله من قبل [٧٥] ، فأرسل إلى واليه على برقة يانس العزيزي يأمره بالاستيلاء على طرابلس سنة (٣٩٠هـ/ ١٠٠٠م) ، وبالفعل استولى والى برقة على طرابلس [٧٦] ، وبما أن طرابلس كانت تابعة لباديس، فإنه لم يسكت عن هذا الاعتداء، ولم يتردد في الاشتباك مع قوات يانس في معركة أسفرت عن هزيمة الجيش الفاطمي ومقتل يانس، وعندما علم الحاكم بما حصل في طرابلس لجيشه سير حملة ثانية بقيادة يحيى بن علي بن حمدون الذي كان قد فر إلى مصر بعد مقتل أبيه جعفر على يد المنصور بن أبي عامر [٧٧] . وصل يحيى إلى طرابلس، واجتمع جيشه بجيش فلفل بن سعيد، وتقدما إلى قابس لكنهما تراجعا إلى طرابلس خوفاً من منازلة

جيوش باديس، وعند ما رأى يحيى اختلال الحال عليه، ولم يجد ما يعطي لرجاله، الأمر الذي أجبره على العودة إلى مصر بعدما اخذ فلفل وأصحابه ما أحبوه من خيولهم، بين شراء وغصب، فلما وصل يحيى إلى القاهرة أراد الحاكم الإيقاع به، لكنه عفا عنه –فيما بعد– وقبل عذره (٧٨).

المرحلة الثانية من انفصال المغرب:

بعد أن فشل الحاكم في إضعاف باديس عسكرياً لجأ إلى إثارة الفتن بين قبيلة زناته وصنهاجة، فأمر زناته بالاستيلاء على طرابلس ونجح في ذلك، وتمكنت زناته بقيادة فلفل بن سعيد من النزول بطرابلس وإخراجها من يد صنهاجة (٧٩).

لكن فلفل بن سعيد توفي سنة (٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م) في طرابلس، فخلفه أخوه ورُّو وأطاعته زناتة، فزحف إليه باديس في جيش جرّار، ونزل بظاهر طرابلس، فتلقاه أهلها مسرورين، فدخلها، وجاءته رسل ورُّو تطلب الأمان، فأمنهم، وعفا عنهم وعاد إلى المنصورية مظفراً، وبذلك يكون باديس قد أحبط كل مؤامرات الحاكم ضده (٨٠) ، مما جعل الحاكم يعود إلى سياسته التقليدية وهي سياسة الموادعة والتودد واسترضائه بالهدوء (٨١).

ففي سنة (٤٠٣هـ/ ١٠١٢م) بعث الحاكم بأمر الله هدية جليلة إلى باديس، وإلى ولده منصور، كما وصلت معها سجلات برقة وأعمالها إليه، فتلقاها المنصور مع أهل القيروان بالأعلام والطبول، وفي المقابل رد باديس على هدية الحاكم بهدية أخرى أرسلها إليه سنة (٤٠٥هـ/ ١٠١٤م) وكانت تضم مائة فرس لها سروج محلاة، شدت في ثمانية عشر حملاً عليها أقفاص فيها الخز والمتاع السوسي المذهب النفيس، وعشرين وصيفة، وعشرة من الصقالبة، كما وجهت السيدة أم ملاك – أخت باديس – إلى السيدة أخت الحاكم هدية أخرى، لكن هذه الهدية لم تصل إلى الحاكم وأخته، إذ استولى عليها قطاع الطرق في برقة (٨٢) . وقد استمرت سياسة الموادعة هذه حتى وفاة باديس سنة (٤٠٧هـ/ ١٠١٧م) ، لكن هذه السياسة تبدلت بعد أن تولى إمارة المغرب المعز بن باديس.

اتصف المعز بعدة صفات حميدة، فقد كان ملكاً جليلاً، وعالي الهمة، محبا للعلم، وكثير العطاء، مدحه الشعراء، وانتجعه الأدباء (٨٣) ، وعرف عنه رقة القلب، والتعفف عن سفك الدماء بغير حق (٨٤) ، وخالف أسلافه الذين كانوا يدينون بمبادئ الشيعة (٨٥) ، غير أن هذه المسألة ترجع قبل كل شيء إلى الروح الانفصالية عن الدولة الفاطمية التي كان يهدف

إليها المعز وآباؤه من قبل [٨٦]، ويرجع ابن عذاري سبب ذلك إلى أن المعز بن باديس، كان قد تتلمذ على يد وزيره أبي الحسن بن أبي الرّجال، وكان ذا علم وزهد، فعلمه وأدبه، ورغبه في مذهب الإمام مالك، وفي السنة والجماعة، وأهل القيروان الشيعة لا يعلمون ذلك[٨٧]، لاسيما أن المعز بن باديس كان قد تولى إمارة إفريقية والمغرب وعمره ثماني سنوات وستة أشهر وأيام تقريبا بعد وفاة والده؛ لأن مولده كان في جماد الأولى سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة[٨٨]، فكفلته عمته أم ملاك التي تقبلت العزاء في أخيها المتوفى، وكذلك التهنئة بولاية ابن أخيها الصغير، فكان ذلك اعترافاً منهم بوصايتها على المعز [٨٩]، وهكذا مارست السيدة أم ملاك مهماتها كوصية على الأمير الصغير، وكانت تباشر الأمور وتصرف الأحوال من رأيها [٩٠] إلى أن بلغ المعز سن الرشد [٩١]، بعد سبع سنوات، كانت تحظى طوالها بموضع تقدير ورعاية من جانب المعز ورجال دولته، لكنها اعتلّت لأيام عدة، وتوفيت سنة (٤١٤ هـ/ ١٠٢٣م [٩٢]).

استمرت سياسة المراسلات والهدايا بين المعز بن باديس والفاطميين في مصر [٩٣]، وكان الحاكم بأمر الله قد سير الخلع إلى المعز ولقبه شرف الدولة [٩٤]، لكن هذه السياسة انقلبت رأساً على عقب، فقد ذكر ابن خلدون في كتابه العبر أن المعز بن باديس كان ماشياً في القيروان، فكبا به فرسه فنادى مستغيثاً باسم أبي بكر وعمر، فسمعه العامة، فثاروا لحينهم على الشيعة [٩٥]، وذهبوا إلى درب المعلى – وهو حي شيعي في مدينة القيروان – وقتلوا الشيعة الذين كانوا يسكنون هناك [٩٦]، وفي رواية أخرى ذكرها ابن عذاري أن المعز بن باديس خرج في أحد الأعياد للمصلى في أول ولايته، فكبا به فرسه، فنادى مستغيثاً بالشيخين أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما– ، فسمعته الشيعة الذين كانوا في عسكره، فبادروا إليه ليقتلوه، فنهض عبيده ورجاله ومن معه يكتم السنة من أهل القيروان، ووضعوا السيف بالشيعة، فقتل منهم أكثر من ثلاثة آلاف، فسمي ذلك المكان بركة الدم [٩٧].

ثم أخذ المعز يتتبّع دعاة الشيعة، ويلاحقهم بالقتل والتنكيل، «وقتل دعاة الرافضة»[٩٨]، كما قطع من الأذان عبارة: «حي على خير العمل[٩٩]»، التي كان الفاطميون قد أضافوها إلى الأذان في المغرب.

لقي المعز بن باديس تأييداً على ما قام به من معظم سكان المغرب وقد امتدحه الشعراء على هذه الحركة التي سميت بحركة التطهير [١٠٠]، كقول الشاعر القاسم بن مروان:

وسـوف يقتلون بكـــل أرض   كما قتلوا بأرض القيـــروان

وقال شاعر آخر (١٠١) :

يا معز الدين عش في رفعة	**وسرور واغتباط وجذل**
أنت أرضيت النبي المصطفى	**وعتيت في الملاعين السفل**
وجعلت القتل فيهم سنة	**بأقاصي الأرض في كل الدول**

احتج الحاكم بأمر الله على ما حصل للشيعة، فكاتب المعز بن باديس، فاعتذر إليه عن تصرفات العامة، فأغضى عنه، ولم يحاول أن يستثيره أكثر مما فعل، وعمل على استرضائه، وبعد مضي شهور عدة على مذبحة الشيعة بعث الحاكم بأمر الله إلى المعز بسجل خاطبه فيه بشرف الدولة (١٠٢) .

وفي سنة (٤١١هـ / ١٠٢٠م) بعث الحاكم إلى المعز أبا القاسم بن اليزيد رسولا يحمل الهدايا والخلع النفيسة من لباسه، وكان من هذه الهدايا سيف مكلل بنفيس الجواهر، كما بعث الحاكم إلى المعز، محمد بن عبد العزيز بن أبي كدية ومعه سجل الحاكم وخمسة عشر علما منسوجة بالذهب (١٠٣) .

لكن الحاكم بأمر الله توفي سنة (٤١١هـ / ١٠٢٠م) فخلفه ولده الظاهر لإعزاز دين الله (١٠٤) ، الذي سار سنة (٤١٤هـ/ ١١٢٣م) بتشريف عظيم إلى المعز بن باديس، وزاده لقبا فسماه: «شرف الدولة وعضدها» (١٠٥) ، وبعث إليه بثلاثة أفراس من خيل ركوبة مزودة بسروج نفيسة، وأرسل إليه خلعة من نفيس ثيابه، وعشرين بنداً مذهبة ومفضضة (١٠٦) .

لعلَّ هذه السياسة التي انتهجها الحاكم بأمر الله وابنه الظاهر لإعزاز دين الله، كانت تعبر عن رغبتهما في تحسين العلاقات مع المعز بن باديس، لكن المعز لم يقم وزنا لكل ذلك، وأظهر الدعوة إلى بني العباس، وقطع الخطبة للمستنصر الفاطمي (١٠٧) .

انفصال المغرب عن الدولة الفاطمية نهائياً:

اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ انفصال المعز بن باديس عن الدولة الفاطمية نهائياً، فقد ذكر ابن عذاري وابن خلدون أنه تم سنة (٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م) (١٠٨) ، بينما ذكر ابن تغري بردي والمقريزي أنه تم سنة (٤٤٣هـ / ١٠٥١م) (١٠٩) ، وذكر ابن الخطيب في كتابه أعمال الأعلام أنه قد تم في سنة (٤٤١هـ / ١٠٤٩م) (١١٠) ، ولكن الدكتور سالم يرجح أن الانفصال تم سنة (٤٤٠هـ / ١٠٤٨م) ، وحجته في ذلك أن وزير المستنصر الفاطمي الذي كان قبل اليازوري هو أبو القاسم علي بن أحمد الجرجرائي المتوفى سنة (٤٣٦هـ) ،

والذي كان قد بلغه ما أظهر المعز بن باديس من التودد للخليفة العباسي القائم بأمر الله، وما كان يقوم به من اضطهاد للشيعة الإسماعيلية والدعوة للمذهب المالكي [١١١] . وقد خاطب الجرجرائي المعز بن باديس محذراً إياه من التعرض للفاطميين والقدح فيهم، ورد عليه المعز مستهزئا بالفاطميين ومحاولاً تغييره عليهم، فقال الجرجرائي عندما وصله الكتاب: «ألا تعجبون من صبي بربري مغربي يحاول أن يخدع شيخاً عربياً عراقياً» [١١٢] .

لكن الجرجرائي توفي سنة (٤٣٦هـ / ١٠٤٤م) ، وولي ابو محمد الحسن بن علي اليازوري الوزارة بعده، فخاطب المعز بن باديس دون ما كان يخاطب به من كان قبله من الوزراء [١١٣]، فحقد عليه وأخذ يشوه سمعته لدى الفاطميين، حتى حقدوا عليه وساءت العلاقات بين المعز بن باديس والمنتصر العبيدي ووزيره اليازوري [١١٤] .

أعلن المعز طاعته للخليفة العباسي، ودعا له على منابر بلاده، ونقش اسمه على السكة، ويؤيد تلك التبعية الدينار الموجود في متحف برلين، إذ نقشت على وجهه الأول العبارات الآتية: «ومن يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه. لا اله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله، وكتب على الوجه الثاني «باسم الله ضرب بمدينة عز الإسلام القيروان سنة إحدى وأربعين وأربعمائة. « يأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا، ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله» [١١٥] .

أمر المعز بن باديس بلعن الفاطميين والدعوة إلى العباسيين في الخطب، ولما كان عيد الأضحى أمر الخطيب أن يسب بني عبيد فقال: «اللهم ألعن الفسقة الكفار المارقين الفجار، أعداء الدين أنصار الشياطين، المخالفين لأمره والناقضين لعهده، المتبعين غير سبيله، والمبدلين كتابه. اللهم العنهم لعناً وبيلا وأخزهم خزياً عريضاً طويلا، اللهم إن سيدنا أبا تميم المعز بن باديس بن المنصور القائم لدينك، والناصر لسنة نبيك، والرافع للواء أوليائك، يقول مصدقاً لكتابك، وتابعاً لأمرك مدافعاً لمن غير الدين وسلك غير سبيل الراشدين المؤمنين، ﴿يأيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون﴾ [١١٦] ، وبذلك يكون المعز قد أعلن انفصاله عن الفاطميين من الناحية النظرية.

وهنا لا بد من التذكير أن الخلافة العباسية كانت قد استعادت شيئاً من الهيبة والنفوذ أيام القادر (٣٨١هـ/ ٩٩١م- ٤٢٢هـ / ١٠٣٠م) والقائم (٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م- ٤٦٧هـ/ ١٠٧٧م) في حين أن الخلافة الأموية قد انهارت في الأندلس في أوائل القرن الخامس، وأن الخلافة الفاطمية كانت تعيش أزمة كبرى بعد موت الحاكم بأمر الله في ظروف غامضة، تسببت في انقسام خطير داخل الدعوة الإسماعيلية [١١٧] .

إذا وضعنا تصرف المعز بن باديس هذا داخل إطار الانهيار الفاطمي، وانبعاث الخلافة العباسية، فقد يكون سبباً مشجعاً على الانفصال، لتحول واضح في ميزان القوى، بالإضافة إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية في بلاد المغرب بسبب القحط وقلة اليد العاملة [١١٨].

عندما علم المستنصر الفاطمي بما حصل كتب إلى المعز بن باديس يتهدده قائلا: «هلا اقتفيت آثار آبائك في الطاعة والولاء» [١١٩]، فرد عليه المعز مؤكداً حقه في حكم المغرب قائلا: «إن آبائي وأجدادي كانوا ملوك المغرب قبل أن تملكه أسلافك، ولهم عليهم من الخدم أعظم من التقديم، ولو أخروهم لتقدموا بأسيافهم» [١٢٠].

لم يكترث المعز بهذا التهديد؛ لأن الدولة الفاطمية أصبحت ضعيفة غير قادرة على إخضاع المغرب من جديد [١٢١]، وأن المعز - كما يبدو - كان ينتظر الفرصة المناسبة لإعلان الانفصال، وكان يطالع رغبه أهل القيروان الملحة في قطع الدعوة للفاطميين، وكان هو نفسه يميل إلى المذهب السني، لكنه ربما لم يرض أن ينكث بعهود آبائه للفاطميين، وإنما كان يتوقع أن يقوم المستنصر بترضيته، كما حصل من قبل، ولما لم يفعل ذلك، فقد عدَّ هذا استخفافاً منه بأمره، واحتقاراً لشأنه، وعز عليه أن يعامل بمثل هذه المعاملة، مع ما لديه من إمكانات كثيرة تهيئ له الانفصال عن الدولة الفاطمية نهائياً [١٢٢] مما جعل المعز يصمم على سياسة الانفصال الموجهة للفاطميين، فتحداهم بلعنهم على المنابر بأشنع المسبات، مما أدى إلى ارتياح كبير في أوساط السنة [١٢٣]، ولم يكتف المعز بلعن الفاطميين على المنابر، بل قام بخطوات عملية، فأزال اسم المستنصر العبيدي عن الطراز، والرايات [١٢٤]، وأحرق بنوده وهدم دار الإسماعيلية [١٢٥] وبدل العملة التي تحمل اسم المستنصر، فنقش على الوجه الأول «ومن يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» [١٢٦] وعلى الوجه الثاني «لا اله إلا **الله**! محمد رسول **الله**» [١٢٧] وأمر الناس بقطع سكتهم، وزوال أسمائهم من جميع الدنانير، والدراهم، وسائر العملة، ثم أمر مناديه أن ينادي في الناس بأمر المعز بن باديس قائلا: «إنه من تصرف بمال عليه أسماء بني عبيد ناله العقوبة الشديدة» [١٢٨].

أرسل المعز رجلاً من ثقاته إلى بغداد ليحضر الخلع والألوية السوداء، فاستجاب الخليفة العباسي لرغبة المعز، وأرسل إليه أبا غالب الشيرازي رسولاً من قبله، ومعه العهد واللواء والهدايا، فمر وهو في طريقه في بلاد الروم، فقبض عليه الإمبراطور البيزنطي، وأرسله وما معه إلى المستنصر الفاطمي، وعندما وصل إلى القاهرة أحرق العهد، واللواء، والهدايا [١٢٩]، وعندما علم المعز بن باديس بذلك أحضر الصباغين وأخرج لهم ثياباً بيضاء وأمرهم بصبغها باللون الأسود شعار العباسيين، ثم جمع الخياطين فصنعوها أثواباً، ثم

جمع الفقهاء والقضاة وخطيبي القيروان، والمؤذنين، وكساهم بالسواد، ثم أمرهم بالذهاب إلى جامع القيروان ولحق بهم، فصعد الخطيب المنبر، وخطب خطبة دعا فيها للقائم العباسي والسلطان المعز بن باديس، ولولده، وولي عهده أبي طاهر تميم بن المعز، ثم لعن بني عبيد وبين خزيهم [١٣٠] ، وبذلك انفصل المغرب سياسياً وروحياً عن الفاطميين، ونبذ تعاليم الشيعة الإسماعيلية ودعوتهم، وانتهت السيادة الفاطمية على بلاد المغرب [١٣١] ومنذ ذلك الوقت صارت الخطبة تقرأ للعباسيين في مختلف ولايات شمال افريقية [١٣٢] .

جمع المعز بن باديس الفقهاء للمناظرة وكان فيهم المالكية والحنفية، فسألهم عن موطن الإمام أبي حنيفة فقيل له الكوفة، فقال: ومالك؟ فقالوا: المدينة المنورة، فقال: عالم أهل المدينة يكفينا، وأمر بإخراج أصحاب أبي حنيفة، وقال: «لا أحب أن يكون في عملي مذهبان» ، ومنذ ذلك الوقت انتقل معظم سكان المغرب إلى مذهب الإمام مالك وما زالوا عليه إلى اليوم [١٣٣] ، وقد ذكر ذلك المقدسي في كتابه «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» فقال: «إن أهل المغرب لا يكادون يعرفون إلا كتاب الله وموطأ مالك» [١٣٤] ، هذا ومن المعروف أن مذهب الإمام مالك ظهر أولاً بالأندلس، ثم انتقل إلى المغرب الأقصى أيام الأدارسة، وظهر في المغرب قبل استيلاء صنهاجة والعبيديين على المغرب [١٣٥] بكثير، على يد عدد من كبار علماء المذهب المالكي كان من أشهرهم أسد بن الفرات بن سنان أحد تلاميذ الإمام مالك [١٣٦] ، وعبد السلام بن سعيد التنوخي المعروف (بسحنون) أحد أشهر فقهاء المغرب [١٣٧] .

لم يقتصر المعز بن باديس على اضطهاد الشيعة، بل أخذ يحمل الناس على اعتناق المذهب المالكي، وترك ما دونه من المذاهب الأخرى، حتى يتم له بذلك الانفصال الروحي والمذهبي عن مصر، وكانت تونس والقيروان من أهم مراكز انتشار هذا المذهب، ويبدو أن الحاكم بأمر الله قد شعر بهذه النهاية المحتَّمة، فحاول استمالة المعز عن طريق تكليف بعض العلماء بتدريس الفقه المالكي بالجامع الأزهر، غير أنه لما فشل في تحقيق أغراضه أمر بقتل هؤلاء الفقهاء المالكية [١٣٨] .

أحدث انفصال المغرب عن الفاطميين صدى عميقاً في جميع أنحاء المغرب، ففي طرابلس اقتدى الناس بالمعز بن باديس، وقام الفقيه أبو الحسن بن المنتصر بتحريض العامة على الشيعة، واشترك معهم في قتلهم، ثم قطع من الأذان عبارة «حي على خير العمل» ، وأذن أذان أهل السنة، وفي سنة (٤٤٣هـ/ ١٠٥١م) ، كتب الأمير جبارة بن مختار العربي من برقة إلى المعز يبايعه على الطاعة، ويخبره بأنه وأهل برقة قد أحرقوا المنابر التي كان يدعى عليها للعبيديين، وأحرقوا راياتهم، وتبرأوا منهم ولعنوهم على المنابر ودعوا للقائم العباسي [١٣٩] .

إذا أمعنا النظر – فيما سبق– نجد أن هذا الانفصال تم على مراحل متعددة، وقد ساعد على حدوثه سياسة الخلفاء الفاطميين العدوانية نحو أمراء بني زيري، وإثارتهم المنافسة بين صنهاجة وزناتة، ثم تدخل الوزراء منذ خلافة المستنصر بالله في هذا الخلاف، وسوء تصرفهم في معاملة المعز بن باديس، وإسراف الخلفاء الفاطميين في الاستخفاف بالدين وسب الصحابة، وإدعاء الحاكم بأمر الله الإلوهية ودعوته الناس لعبادته (١٤٠)، لكن العروي يورد رأي غوتيه الذي قال فيه إن هذا الانفصال محاولة من البربر للتخلص والانتقام من العرب الفاتحين، وإن فتح مصر هو رد على فتح العرب لإفريقية، وأن قبائل كتامة وصنهاجة استغلوا بذكائهم الدعوة الفاطمية، وحكموا باسمها، ثم شجعوا أصحابها على الانتقال إلى الشرق لإبعادهم والاستقلال عنهم، كما لو كان الأمر بخطة مدروسة أوشكت أن تنجح لولا تدخل البربر البدو، ويقصد بذلك زناتة الذين اشتهروا بالتخريب والفوضى والثورة الدائمة على كل سلطة منظمة (١٤١).

بينما يرى الدكتور العدوي أن المعز بن باديس وجد نفسه مضطرا لاتباع سياسة عمه حماد بن بلكين _ حامل لواء الوعي السني على مذهب الإمام مالك _ بعد مضي ثلاثين عاماً على الخطوات التي اتخذها حماد في ذلك السبيل (١٤٢).

موقف الفاطميين من انفصال المغرب:

تأثر الخليفة الفاطمي كثيراً بهذا الحادث الخطير، والانقلاب الديني السياسي العظيم، والقضاء على الدعوة الشيعية في المغرب (١٤٣)، لم يقف المستنصر الفاطمي أمام هذا الانفصال موقف المتفرج على الأحداث، والتي تمخض عنها سقوط الدولة الفاطمية في بلاد، ونبذ التشيع، فقد عمل على الانتقام من بني زيري الذين خرجوا عليه، في الوقت الذي كانت فيه الدولة الفاطمية قد ضعفت وعجزت عن إعادة الدعوة الإسماعيلية إلى المغرب(١٤٤). فأشار اليازوري وزير المستنصر بتجهيز بني هلال وبني سليم وأتباعهم من القبائل العربية إلى المغرب (١٤٥).

ينحدر بنو هلال وأبناء عمومتهم بني سليم من قيس عيلان، ولكنهم كانوا يختلفون في طبيعتهم وأخلاقهم عن أجدادهم هوازن بن منصور بن قيس عيلان بن مضر، الذين كانوا من أعظم قبائل العرب وأقواها وأبعدها أثراً في الفتوحات الإسلامية أيام الخلفاء الراشدين ثم الأمويين (١٤٦)، وأصل موطن بني هلال وسليم بلاد الحجاز وبعض تخوم نجد، فهي قبائل عربية بدوية رعوية، تعيش عيشة فقيرة مضطربة، تضطرها – في بعض الأحيان – إلى احتراف الغارة على الجيران، أو قطع السبيل حتى على قوافل الحجاج، وعلى مكة في أثناء موسم الحج، وعلى المدينة في أيام الزيارة (١٤٧).

انضم بنو هلال وبنو سليم إلى حركة القرامطة، ودخلوا بجيوشهم عُمان والبحرين، واشتركوا في الحرب ضد الفاطميين في الشام ومصر والحجاز، وعندما تغلب المعز لدين الله على القرامطة، أرغمهم على الارتداد إلى البحرين، فانفصل بنو هلال وبنو سليم عنهم، ومالوا إلى الفاطميين، فنقلهم العزيز بالله الفاطمي إلى صعيد مصر، وأسكنهم الضفة الشرقية من النيل، واشترط عليهم بأن لا يعبروا إلى الضفة الغربية (١٤٨) ، وكان هدفه من ذلك الحيلولة بينهم وبين الانضمام إلى أعداء الفاطميين في المغرب، فأقام من انتقل من بني هلال وبني سليم في الصعيد الأعلى، وآذوا الفلاحين إيذاءً شديداً، فأما بنو سليم فقد اندمج كثير منهم مع سكان الصعيد، وأما بنو هلال فقد ظلوا بدواً (١٤٩) ، ومن أكبر قبائلهم: «جشم، والأثبج، وزغبة، ورياح، وربيعة، وعدي، والزواودة» (١٥٠) .

استمال المستنصر الفاطمي مشايخ بني هلال وسليم بالعطاء، والعهد لهم بولاية إفريقية بدلاً من أمراء القيروان الصنهاجيين الخارجين عليه؛ لينصروا الشيعة، ويدافعوا عنهم (١٥١) ، لكن تقليدهم الأمور تم بنطق شفوي، ولم يكن الأمر مغامرة، إذ كانت العملية محسوبة بطريقة لا تقبل الخطأ (١٥٢) ، وبذلك يكون اليازوري قد رمى عصفورين في حجر واحد، فإن نجح فيما يرنو إليه في الظفر بالمعز بن باديس وقومه صنهاجة، كانوا أولياء للدولة وعمالاً لها في المغرب، وإن كانت الأخرى فيكون قد تخلص من عدوان تلك القبائل(١٥٣)، التي أضرت بالديار المصرية، وأصبحت خطراً على الدولة لذلك فتح لهم المستنصر باب الهجرة إلى المغرب، ورغبهم فيه (١٥٤) ، وحمل إلى مشايخهم الأموال، وأنعم على سائرهم بفرو ودينار لكل نفر، وأباح حمى الغرب (١٥٥) ، وكتب اليازوري إلى المعز: «أما بعد فقد أرسلنا إليك خيولاً، وحملنا عليها رجالاً فحولاً (١٥٦) ، ليقضي الله أمراً كان مفعولا (١٥٧)» .

سار بنو هلال وسليم إلى برقة، فاستولوا على أمصارها وأعجبتهم أرضها، فأرسلوا إلى أخوانهم بالصعيد يرغبونهم في اللحاق بهم (١٥٨) ، فقد وجدوا بلاداً طيبة كثيرة المراعي، خالية من الأهل، بسبب هجرة زناتة منها أمام ضغط صنهاجة (١٥٩) ، لكن حكومة بني عبيد لم تأذن لهم هذه المرة تجاوز النيل، إلا بأداء دينارين عن كل شخص، فأخذ منهم الفاطميون أضعاف ما أعطوهم (١٦٠) ، وأخذ القادرون منهم على الأداء في الرحيل حتى ضاقت بهم برقة (١٦١) .

استقر بنو سليم في برقة، وخربوا المدينة الحمراء وأجدابية واسمرا وسرت، أما بنو هلال فسار جميع بطونها إلى المغرب، كما وصفهم المقريزي قائلاً: «كالجراد المنتشر لا يمرون على شيء إلا أتوا عليه» (١٦٢) حتى وصلوا إلى إفريقية سنة (٤٤٣هـ/ ١٠٥١م)، وكان أول من وصل من بني هلال مؤنس بن يحيى (١٦٣) ، الرياحي أمير رياح، فقدم على المعز

بن باديس، وكان المعز كارهاً لإخوانه صنهاجة، محباً للاستبدال بهم، حاقداً عليهم، دون أن يظهر ذلك لهم، فاستلطف مؤنس الرياحي، وزوجه إحدى بناته وأسكنه بعض قصوره، في القيروان، فحسنت معه نية مؤنس وعاد تشاؤم المعز بمقدمهم تفاؤلاً (١٦٤) ، وشاوره في استدعاء عرب بني هلال من طرابلس وحدود إفريقية ليكونوا له عوناً على بني عمه (١٦٥) ، فنصحه مؤنس، بعدم التفكير في هذا الأمر، وأخبره بأنهم لا يجتمعون على كلمة، وأنهم لا ينقادون إلى طاعة، لكن المعز أكثر من الإلحاح عليه، إلى أن قال له المعز: «إنما تريد انفرادك، حسداً منك لقومك» (١٦٦) ، فذهب إليهم مؤنس بعدما قدم العذر وأشهد بعض رجال السلطان، «ثم رحل متوجهاً نحوهم، فنادى في القوم وحشدهم ووعدهم، وغبطهم ووصف لهم كرامة السلطان والإحسان لهم، ثم قدم في ركب منهم، لم يعهدوا نعمة، ولا طالعوا حاضرة، فلما انتهوا إلى قرية، تنادوا (هذه القيروان) ، ونهبوها من حينها» (١٦٧) ، وعاثوا في نواحي إفريقية فساداً، فعظم الأمر على المعز وقال: «إنما فعل مؤنس هذا ليصحح قوله، ويظهر نصحه» (١٦٨) .

ساءت نية المعز مع مؤنس، واتهمه بإغراء العرب على الفساد، وبدأت المناوشات عندما جهز المعز إلى الهلالية قوة من رجاله الصنهاجيين، ولكن الهلالية نجحوا في الإيقاع بهم، فأخذته العزة بالكبر، وأشاط به الغضب (١٦٩) ، فأمر المعز بالقبض على أخي مؤنس وأولاده وختم على داره بالقيروان، وخرج وعسكر في ظاهر القيروان، وهو يحشد الرجال ويستنفر القبائل الموالية، من زناته وغيرها، واستنجد ببني عمه بقلعة حماد، فأمده ابن حماد بكتيبة من ألف فارس، واستنفر قبيلة زناتة على المشاركة في القتال، فقدم إليه المستنصر بن خزرون المغراوي في ألف فارس من زناتة (١٧٠) ، كما انضم إلى معسكر المعز أعداد من الأتباع والأولياء والحشم، ومن حولهم من بقايا عرب الفتح والزناتية، وغيرهم من جماعات البربر (١٧١) . نتائج غزو القبائل الهلالية للمغرب

خرج إليهم المعز بن باديس في جيش قوامه حوالي ثلاثين ألفاً، واشتبكوا مع عرب بني هلال من رياح وزغبة وعدي بالقرب من حيدران في ذي الحجة سنة (٤٤٣هـ/ ١٠٥١م) ، ولكن عرب الفتح في جيش المعز آثروا الانضمام إلى أخوانهم في الجنس، فانحازوا إلى صفوف الهلالية، أما زناتة وصنهاجة، فقد خذلوا المعز وفروا، فانهزم المعز هزيمة نكراء، وفرَّ بنفسه وخاصته إلى القيروان، وقتل من الصنهاجيين وأتباع المعز على ما ذكره ابن خلدون ثلاثة آلاف وثلاثمائة مقاتل، وفرَّ معظم فلول جيش المعز إلى جبل حيدران، ثم توافد على القيروان المنهزمون، ووصل بنو هلال إلى نواحي القيروان، وأخذوا يخربون مزارعها ويدمرون عمرانها (١٧٢) .

حاصر عرب بني هلال القيروان، وأخذوا ينهبون البلاد حتى أتوا على عمرانها، وكانوا قد استولوا على باجة وقابس، وقسنطينة وتونس وبونه، فلما رأى المعز ضياع ملكه أصهر ببناته إلى ثلاثة (١٧٣) من أمراء بني هلال (١٧٤)، لكن دون فائدة، واستمر الهلالية في عدوانهم، فأمر المعز بأن ينقل سكان صبرة وسوقها إلى القيروان، وأن ينتقل جميع عسكره من الصنهاجيين إلى صبرة وينزلون في مساكنها وأسواقها، وعندما دخل عبيد المعز وصنهاجة صبرة، أساؤوا استخدام مبانيها فخربت عمائرها (١٧٥)، ثم زحف بنو هلال إلى القيروان فحاصروها، وخرج بعض أهالي القيروان للدفاع عنها، لكن بني هلال تمكنوا من قتلهم وإبادتهم (١٧٦).

وفي سنة (٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م)، بعث المعز ابنه تميم إلى المهدية، ونزلها ودخل بني هلال القيروان، فاستباحوها، وخربوها، كما حصل تزاوج بين البربر والعرب، واختفي الحاجز الحضاري – نوعاً ما – بينهم، وبخاصة أن العرب والبربر يجمعهم الدين الإسلامي(١٧٧).

بعد خراب القيروان انتقل المعز بن باديس إلى المهدية، وقضى السنوات الأخيرة من عمره حزيناً إلى أن وافاه الأجل المحتوم سنة (٤٥٤هـ/ ١٠٦١م)، ودفن في رباط المستنير، وخلفه ابنه تميم (١٧٨) الذي اقتصر ملكه على شريط ضيق من ساحل المهدية يضم صفاقس وقابس، وجزيرة جربة (١٧٩).

طرب المستنصر الفاطمي لهزيمة الزيريين؛ لأنه استطاع أن ينتقم لنفسه منهم، وعبر عن سروره في رسالة بعث بها إلى علي بن محمد الصليحي صاحب اليمن، وقد جاء فيها: «أنه خلّف ابن باديس اللعين محصوراً في منفاه من الأرض، محمولاً على شفا جرف من الأخذ والقبض، فقد فغر الردى له فمه، ولن يبعد بعون **الله** أن يلقه، وأمير المؤمنين يسأل **الله** جلت عظمته معونته على شكر نعمته التي هو عن القيام بواجب أقلها محصور، ولسانه عن الوفاء بأيسره مقصور، ويقول: الحمد **لله** الذي أذهب عنا الحزن، إن ربنا لغفور شكور، أعلمك أمير المؤمنين نبأ هذه العارفه الطارفه، لتنشره على المنابر، وتذيعه في البوادي والحواضر، إن شاء **الله** تعالى، والسلام عليكم ورحمة **الله** وبركاته» (١٨٠).

انتهت دولة بني زيري في بلاد المغرب رغم أن تميم بن المعز ظل يحتفظ بمساحة قليلة من أرض المغرب، أما الباقي فقد تقاسمه الهلاليون وبعض زعماء زناتة وصنهاجة، وانقسمت البلاد إلى إقطاعيات صغيره وضاعت وحدتها (١٨١)، ليبدأ عصر ملوك الطوائف الذي ينتهي بقيام دولة المرابطين (١٨٢).

إن دخول بني هلال وبني سليم إلى المغرب الإسلامي من الحوادث الفاصلة في تاريخه، فقد قضوا على دولة بني زيري الصنهاجة في بلاد المغرب، وعلى دولة أبناء عمومتهم بني حماد في المغرب الأوسط، وانقطعت نتيجة لغاراتهم الصلات السياسية بين المغرب والمشرق، واتجه المغرب بعد ذلك وجهة خاصة منفصلة عن بقية المجموعة الإسلامية، مما كان له أسوأ الأثر على مصير المغرب والأندلس في أواخر العصور الوسطى [١٨٣]، كما عجزت صنهاجة أمام الهلاليين وغلبوا على زناتة وعمت الفوضى، فانقطعت الصلة بين المدن بإخافة السبيل، وهرب الفلاحون من الضواحي، فتوقفت التجارة والفلاحة، وكان ضرر الحرب في الجزائر أقل منه في تونس وطرابلس؛ لأن الجزائر لم تكن هي المقصودة بهذه الحملة، ولم تطل بها مدة الحرب [١٨٤].

بالغ الكتّاب في تقدير تلك الأضرار، ثم حملوا الهلاليين مسؤوليتها؛ لأن معظم هؤلاء الكتاب كانوا موالين لدولة بربرية، ولم يكن للهلاليين حكومة تغدق عليهم عطاءً، ولبداوتهم لم يهتموا بدعاية سياسية تنشر لهم، كما بالغ الكتاب الأجانب في ذلك لقذف العرب ووصفهم بالتخريب [١٨٥].

ترتب على هذا الغزو انحسار ملك الدولة الصنهاجية في ساحل إفريقية (تونس) بسبب الضغوط التي كانت تمارسه القبائل الهلالية على المدن الداخلية، مما أدى إلى اهتمام الصنهاجيين بشؤون البحر، فأسس تميم بن المعز أسطولاً ضخماً بدار الصناعة بالمهدية، وقام هو وابنه يحيى بن تميم من بعده بالغارات البحرية على جزيرة صقلية، وعلى سواحل إيطاليا [١٨٦].

كذلك انقسمت بلاد المغرب إلى دويلات متشاحنة على نحو ما حدث في الأندلس عشية سقوط الخلافة الأموية بقرطبة، فقد استولى بنو هلال على المناطق الممتدة في الداخل من قابس إلى المغرب، وظل بنو زيري يحتفظون بالمهدية وما يليها، واستقر بنو حماد في جاية، واستقل حمو بن مليل البرغواطي، الذي تحالف مع عرب زغبة ورياح وعدي والأثبج، في صفاقس، واستقل موسى بن يحيى بقابس، واستقل حاكم قفصة الزيري بها بعد أن خرج على سيده، واستعان بالهلالية لتوسيع نفوذه مقابل جزية سنوية [١٨٧].

بالإضافة إلى ذلك فإن من سلبيات الهجرة الهلالية أنها مكنت النورمان من غزو المهدية، والاستيلاء على بعض المدن الساحلية مثل قابس وصفاقس والمستنير وسوسة وصال وجال روجر النورمندي في بلاد المغرب [١٨٨]، مما دفع بالموحدين إلى إرسال قواتهم لدفع ذلك الخطر، ونجح الموحدون في هذه الجبهة، ثم بسطوا سلطانهم إلى برقة حتى غدت

دولتهم تشمل المغرب الإسلامي [١٨٩]، كما عملوا على تحقيق التوازن في غرب البحر المتوسط بين الدول الإسلامية، والدول المسيحية، فعرفت المنطقة مستوى من التقارب والتداخل جعل بعضهم يظن أن اقتسام حوض المتوسط بين المسلمين والنصارى على قدم المساواة أمر ممكن على المدى الطويل، وانتظمت بالفعل المبادلات وتنوعت ونشطت الدبلوماسية والتجارة [١٩٠] . كل ذلك كان من أسباب هجرة بني هلال وسليم إلى المغرب، والذين تسببوا في تفتيت البلاد، وحولوها إلى إمارات صغيرة عاجزة عن دفع الغزاة [١٩١]؛ لأن بني هلال ومن كان معهم من العرب لم يكونوا جيشاً نظامياً، له هدف ديني أو قومي معنوي واضح، كما كان في الفتوح الإسلامية الأولى، وإنما كانوا بدواً طوال تاريخهم، ولم يغيروا طبعهم البدوي أبداً؛ لأن طول إقامتهم في البوادي، وقوة الدول عليهم وإخراجها إياهم من كل نطاق حضاري، جعلهم بدواً أقحاح، فهم يتحركون ويتصرفون جماعياً، ويطيعون رئيس القبيلة، ولا يعرفون رئيساً غيره، ولا يرون في العمران إلا مجالاً للغارة والنهب، وهم يغيرون على المزارع، والمنشآت دون أن يقدروا أهميتها وقيمتها، بل يسعدون بأن يصيبوا منها ما يقدرون عليه، ويعيثون فيها فساداً، فهم يقتلعون الأبواب ويستخدمون أخشابها وقوداً للنار، ويطلقون قطعانهم في المزارع تأكل المحاصيل دون تفكير، ولا يعتزون إلا بشيء واحد «العصبية» ، فهم يتعصبون لقبائلهم أكثر مما يتعصبون لأي شيء آخر [١٩٢]، ولم تكن مشاغبة الهلاليين للحكومات البربرية طمعاً في الملك أو طلباً للفوضى، وإنما لحفظ حياتهم البدوية، وكثيراً ما تكون الحرب بين الهلاليين لأسباب التنازع على وسائل الحياة، وأما بين أفراد القبيلة الواحدة فلأسباب التنازع على رئاسة القبيلة، وشعارهم «لا يفض الخصام إلا الحسام» ، ونتج عن هذه الحروب ضعف قبيلة واستعلاء أخرى، فتضطر الضعيفة إما الجلاء إلى ناحية أخرى، وإما الاحتماء بقبيلة أقوى، فتفرض القبيلة الحامية على المحمية عربية كانت أو بربرية ضريبة معلومة يسمونها خفارة، وهي آية الشرف الحربي [١٩٣] .

كما أدت هجرة بني هلال وسليم إلى انحدار الثقافة العربية في إفريقية [١٩٤] ، فقد كان ازدهار الثقافة العربية في بلاد المغرب يستمد وجوده من عنصرين هما: الاستقرار والطمأنينة السياسية والاقتصادية، ثم الرخاء والترف وثراء الأمراء وإغداقهم على أهل العلم والأدب، وتشجيعهم، إلا ان كثرة الغزوات التي أدت إلى عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وفرقت شمل البلاد، إذ أصبحت القيروان ومدن إفريقية خراباً تلتهمها النيران وتحصد أهلها السيوف، وفجع العلماء في أمنهم واستقرارهم، فخرجوا يبحثون عن ملاذ آمن لهم، ولم يكن أمامهم إلا المغرب الأقصى في ذلك الوقت، فقد استقرت أموره السياسية، وبدأت طلائع المرابطين في صحراء المغرب تتأهب للظهور [١٩٥] .

وهكذا استوطن بني هلال بلاد المغرب رهبةً من سيوفهم أولاً، ورغبةً فيها أخيراً، فأقطع لهم البربر الإقطاعات، وأجزلوا لأمرائهم الصلات، وأضيفت إفريقية الشمالية إلى جزيرة العرب بعدما تبعتها دينياً وسياسياً (١٩٦).

كان لهذا الغزو رغم مضاره الكثيرة فضل كبير في تعريب القبائل البربرية بالمغرب؛ لأن الفتوحات الإسلامية نجحت في نشر الدين الإسلامي واللغة العربية، فأتت الهجرات الهلالية لتضيف إلى ذلك الدم العربي، وتعدل التكوين الإثني والعنصري لسكان المغرب، حتى صار البربري القديم لا يُلتمس إلا في معاقل الجبال ذات الطبيعة الوعرة، ولا يتميز إلا ببعض الظواهر اللغوية (١٩٧)، وأدى ذلك إلى تخفيف حدة اللهجات المحلية في القرى البربرية التي لم تصل إليها إشعاعات الحضارة العربية (١٩٨)، وأضافت هذه القبائل العربية إلى حضارة شمال إفريقية سمات جديدة، ونتج عن امتزاج العرب بالبربر أجيال أقوى شكيمة وأشد مراساً من أجدادهم (١٩٩)، وأدى إلى نجاح عملية تعريب بلاد المغرب، حتى أصبح فيما بعد لا يتميز البربري من العربي، فقد صار معظم سكان المغرب عرباً باللسان(٢٠٠).

سميت هجرة بني هلال إلى المغرب بالغزوة الهلالية أو تغريبة بني هلال، وبطل هذه القصة يسمى أبو زيد الهلالي، أما خصمه فيسمى خليفة الزناتي أو الزناتي خليفة، وهذه الملحمة تعتبر من أشهر آثار الأدب الشعبي العربي، ولكنها تمتاز بطابع شعبي، لكن قصة بني هلال في الأدب تختلف عن وقائع التاريخ اختلافاً بيناً، فهي أشبه بالصدى البعيد لحوادث التاريخ، مثلها مثل كل الملاحم الشعبية (٢٠١).

إن سياسة الانتقام التي مارستها الدولة الفاطمية ضد الدولة الزيدية، كان لها الطابع التقليدي نفسه الذي سارت عليه من قديم، وهو إثارة المنافسة بين القبائل، وضرب بعضها ببعضها الآخر، لكن مشاغبة الهلاليين للحكومات البربرية لم تكن لطمع في الملك، أو لإعادة بلاد المغرب إلى حظيرة الفاطميين، وإنما كانت لحفظ حياتهم البدوية، وإرضاءً لشهوات زعمائهم (٢٠٢).

على الرغم من إجماع المؤرخين على أن سبب نزوح بني هلال وسليم كان من تدبير الدولة الفاطمية، لتأديب المعز بن باديس، فإن الأستاذ العروي يرى خلاف ذلك، ويعلق على هذه الأحداث قائلاً: «هذه هي الرواية التقليدية تغري القارئ ببساطة دواعيها، وبداهة

تسلسل أطوارها، فهي عبارة عن مأساة تحركت بدوافع الغريزة من طموح وشهوة، من غرور وعقوق، من استعلاء وانتقام، ثم أدت إلى كارثة غير متوقعة في حجمها وشمولها، ويتساءل قائلاً: هل تتابعت الحوادث بالفعل على هذه الصورة، وحسب هذا الترتيب؟ من الصعب أن نميز بين الحوادث الناتجة عن الصدفة والإتقان، وتلك التي تولدت عن أعمال محددة، نرى أن الرواة وإن اتفقوا على الحبكة العامة، يختلفون حول توالي الوقائع وتاريخها[٢٠٣] » .

لكن من المؤكد أن المغرب أخذ يعتمد على نفسه منذ أن أعلن المعز بن باديس الانفصال السياسي، والمذهبي عن الدولة الفاطمية، وبينما كانت البلاد في صراع متواصل مع عرب بني هلال وسليم من جهة، والنورمان الغازين لسواحلها من جهة أخرى، كانت هناك قوة جديدة أخذت تظهر في أقصى جنوب المغرب الأقصى فيما وراء جبال درن، وما لبث أن تولدت منها دولة المرابطين الكبرى التي شملت النصف الغربي من بلاد المغرب، واتخذت الإسلام الذي كانت تتهدده المسيحية بإسبانيا ودام عهدها نحو قرن من الزمان، من منتصف القرن الخامس إلى منتصف القرن السادس [٢٠٤] .

نتائج البحث:

١. أقام الفاطميون دولتهم في بلاد المغرب سنة (٢٩٧هـ / ٩٠٩م) ، التي قامت على أساس الفكر الشيعي الإسماعيلي القائم على تقديس الائمة وعصمتهم.

٢. اهتم الفاطميون بامتلاك مصر وتحقق لهم ذلك سنة (٣٥٨هـ / ٩٦٩م) على يد قائدهم الصقلي.

٣. عندما أراد المعز لدين الله الرحيل إلى مصر، أخذ يفكر في إبقاء النفوذ الفاطمي في بلاد المغرب، مع أنه كان يدرك أن هذا الاستمرار لن يدوم طويلا.

٤. استخلف المعز لدين الله على المغرب بلكين بن زيري ثم غادر المعز بلاد المغرب متوجها إلى مصر، وبرحيل المعز بدأ عهدٌ جديدٌ في بلاد افريقية والمغرب.

٥. توفي المعز لدين الله سنة (٣٦٥هـ / ٩٧٥م) فخلفه ابنه العزيز، وفي (٣٧٤هـ / ٩٨٤م) توفي بلكين، فخلفه ابنه المنصور بن بلكين، وقلده العزيز أمر المغرب. لكن المنصور أخذ يدلي بأقوال تدل على أنه يريد الاستقلال مما أغضب العزيز.

٦. أثار العزيز بالله قبيلة كتامة ضد المنصور بن بلكين لكن المنصور هزم كتامة.

٧. في سنة (٣٨٦هـ / ٩٩٧م) توفي العزيز بالله ليخلفه ابنه الحاكم بأمر الله كما توفي في السنة نفسها المنصور بن بلكين، فقام بالأمر بعده ابنه باديس، واستمرت العلاقات بين باديس والحاكم، لكن الحاكم كان يضمر العداء لباديس.

٨. بعد أن فشل الحاكم في إضعاف باديس، بعث اليه ولولده منصور بن باديس سنة (٤٠٣هـ / ١٠١٢م) هدية جليلة، فتلقاها باديس بالأعلام والطبول، وفي المقابل بعث باديس بهدية إلى الحاكم بأمر الله، واستمرت هذه السياسة حتى وفاة باديس سنة (٤٠٧هـ / ١٠١٧م) .

٩. خلف باديس في الحكم ابنه المعز بن باديس الذي استمر في سياسة المراسلات والهدايا في البداية لكن هذه السياسة انقلبت فيما بعد رأسا على عقب.

١٠. تمرد المعز بن باديس على الفاطميين، وقتل الشيعة وتتبع دعاتهم، ولاحقهم بالقتل والتنكيل. وقد لاقى تصرف المعز هذا تأييداً من معظم سكان المغرب.

١١. أعلن المعز بن باديس طاعته للخليفة العباسي، ودعا له على منابر بلاده، وأمر بلعن الفاطميين، وبذلك يكون المغرب قد انفصل عن جسم الدولة الفاطمية.

١٢. تأثر الخليفة الفاطمي لهذا الانفصال السياسي والانقلاب الديني العظيم، الذي تمخض عنه سقوط الدولة الفاطمية في المغرب ونبذ التشيع واستبدال التشيع الإسماعيلي بمذهب الإمام مالك، وكان قد سبقه إلى ذلك عمه حماد بثلاثين عاماً. في الوقت الذي كانت فيه الدولة الفاطمية عاجزة عن الرد وإعادة الدعوة الإسماعيلية.

١٣. أشار اليازوري وزير المنتصر الفاطمي بتجهيز بني هلال وسليم وأتباعهم من القبائل العربية إلى المغرب، فاستمال المنتصر مشايخهم بالعطاء والهدايا.

١٤. سار بنو هلال وسليم إلى المغرب، وتمكنوا من اجتياح المغرب، وهزيمة الزيريين الذين أضحى ملكهم قاصراً على شريط ضيق من ساحل المهدية.

١٥. كان لهذا الغزو رغم مضاره الكثيرة فضل كبير في تعريب القبائل البربرية بالمغرب، لأن الفتوحات الإسلامية نجحت في نشر الدين الإسلامي واللغة العربية، فأتت الهجرات الهلالية لتضيف الدم العربي إلى تلك البلاد.

الهوامش:

١. الشهرستاني، الملل والنحل، ج١، ص١٤٦، حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام، ج٣، ص ٢٥٨ – ٢٥٩
٢. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص١٥١، العبادي، في التارخ العباسي والفاطمي، ص٢٤٨
٣. ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص٦٤، دفتري، مختصر تاريخ الاسماعيليين، ص ١٢١
٤. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج١، ص: ٢٣٧.
٥. المصدر السابق، ج٢، ص٣١٩، سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص: ٥٥٠.
٦. العبادي، مرجع سابق، ص: ٣١٥.
٧. سالم، مرجع سابق، ص: ٥٥٠.
٨. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص: ١٧٥.
٩. الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر، ج٢، ص: ١٣٢.
١٠. إبراهيم جلال، المعز لدين الله، ص: ٩٨.
١١. جعفر بن علي: هو جعفر بن أحمد بن حمدون المعروف بابن الأندلسي صاحب المسيلة وأمير الزاب، وقد وصفه ابن خلكان بأنه سمحاً كثير العطاء مؤثراً لأهل العلم.
١٢. العدوي، تاريخ العالم الاسلامي، ج٢، ص٢١٣.
١٣. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص: ١٧٥.
١٤. المصدر نفسه، ج١، ص: ١٧٥.
١٥. بلكين بن زيري مناد الصنهاجي الحميري، كان جده مناداً كبيراً لقومه، كثير المال والولد، حسن الضيافة (ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص: ٦٦) وكان والده أحد أعمدة الدولة العبيدية، أنقذها حين أوشكت على الانهيار تحت ضربات خوارج أبي يزيد، وقد أذن له القائم الفاطمي – تقديراً لخدماته وولائه – ببناء عاصمة إقليمية للمغرب الأوسط، فاختار زيري أشير. كان زيري والياً فوق العادة بل خليفة الخليفة إن صح التعبير في منطقة واسعة ذات أهمية اقتصادية وإستراتيجية كبرى، فلا غرابة أن نرى المعز لدين الله، حيث قرر الالتحاق بمصر، يفوض أمر إفريقية إلى بلكين بن زيري (العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج٢، ص: ٧٧) .
١٦. ابن خلدون، العبر، ج٦، ص: ١٥٦.
١٧. الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، ص: ٤٩.

١٨. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص: ١٧٥.
١٩. المصدر نفسه، ج١، ص: ١٧٥.
٢٠. المصدر نفسه، ج١، ص: ١٧٥.
٢١. إبراهيم جلال، المعز لدين الله، ص: ٩٩- ١٠٠.
٢٢. ابن خلدون، العبر، ج٦، ص: ١٥٦.
٢٣. ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص: ٦٤.
٢٤. ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص: ٢٢٨.
٢٥. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص: ١٥٧- ١٧٦.
٢٦. Holt, The Cambridge History of Islam, p. p. 219
٢٧. The Encyclopedia of Islam, volume 11, p. p. 852
٢٨. حسن إبراهيم حسن، الدولة الفاطمية، ص: ٢٥٠.
٢٩. العدوي، تاريخ العالم الإسلامي، ج٢، ص٢١٢.
٣٠. إبراهيم جلال، المعز لدين الله، ص: ١٠١.
٣١. الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد، ص: ٥٤.
٣٢. إبراهيم جلال، المعز لدين الله، ص: ١٠١.
٣٣. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٢، ص: ٣٢٠.
٣٤. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص: ١٧٦.
٣٥. الجيلاني، تاريخ الجزائر العام، ج٢، ص: ٢٣٥.
٣٦. سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج٣، ص: ٢٨٦.
٣٧. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص: ١٧٦.
٣٨. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٢، ص: ٣٢٠.
٣٩. سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج٣، ص: ٢٨٥.
٤٠. العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج٢، ص: ٧٠.
٤١. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٢، ص: ٣٢٠.
٤٢. ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص: ٦٧.
٤٣. المصدر نفسه، ج٧، ص: ٩٤.
٤٤. ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص: ٢٤١.

٤٥. العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج١، ص: ٧٩.
٤٦. ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ج٢، ص٣٢١.
٤٧. ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص: ٢٤١.
٤٨. العدوي، تاريخ العالم الاسلامي، ج٢، ص٢١٦.
٤٩. العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج٢، ص: ٧٨.
٥٠. ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص: ٢٤٠.
٥١. سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج٣، ص: ٣٣٠.
٥٢. ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص: ١٥٠.
٥٣. العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج٢، ص: ٧٨.
٥٤. الجيلاني، تاريخ الجزائر العام، ج٢، ص: ٢٤٨– ٢٤٩.
٥٥. سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص: ٥٦٨.
٥٦. الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر، ج٢، ص: ١٣٣.
٥٧. ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص: ٢٤٣.
٥٨. الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر، ج٢، ص: ١٣٣.
٥٩. سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج٣، ص: ٣٣٣.
٦٠. ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص: ٢٤٤.
٦١. سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج٣، ص: ٣٣٣.
٦٢. ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص: ١٦٥.
٦٣. سالم، المغرب في العصر الإسلامي، ص: ٥٦٨.
٦٤. العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج٢، ص: ٧٨.
٦٥. سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج٣، ص: ٣٣٤.
٦٦. ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص: ١٧٤.
٦٧. سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج٣، ص: ٣٣٤.
٦٨. ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص: ١٧٤.
٦٩. الجيلاني، تاريخ الجزائر العام، ج٢، ص: ٢٥١.
٧٠. ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص: ١٧٤– ١٧٥.
٧١. الهلالي ميلي، تاريخ الجزائر، ج٢، ص: ١٣٤.

٧٢. العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، ص: ٣١٨.
٧٣. ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص: ٢١٣.
٧٤. ابن خلدون، العبر، ج٦، ص: ١٥٨.
٧٥. سالم، المغرب في العصور الإسلامية، ص: ٥٦٩.
٧٦. مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص: ١٤٦.
٧٧. ابن خلدون، العبر، ج٤، ص: ٦٣.
٧٨. ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص: ٢٥٦.
٧٩. الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر العام، ج٢، ص: ١٣٤.
٨٠. ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص: ٢٥٨– ٢٥٩.
٨١. مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص: ١٤٦.
٨٢. سالم، المغرب في العصور الإسلامية، ص: ٥٧٠– ٥٧١.
٨٣. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص: ٢٣٣.
٨٤. الجيلاني، تاريخ الجزائر العام، ج٢، ص: ٢٥٦.
٨٥. ابن خلدون، العبر، ج٦، ص: ١٦٠.
٨٦. العبادي، المرجع السابق، ص: ٣٢٢.
٨٧. ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص: ٢٦٨.
٨٨. ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص: ٣١٩.
٨٩. سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج٣، ص: ٣٨٠.
٩٠. الجيلاني، تاريخ الجزائر العام، ج٢، ص: ٢٥٦.
٩١. سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج٣، ص: ٣٨٠.
٩٢. الناصري، الاستقصا، ج٢، ص: ١٦٤.
٩٣. ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص: ٣٢٠.
٩٤. ابن خلدون، العبر، ج٦، ص: ١٦٠.
٩٥. ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص: ٢٦٨.
٩٦. ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص: ٢٧٤.
٩٧. ابن خلدون، العبر، ج٦، ص: ١٦٠.
٩٨. الناصري، الاستقصا، ج٢، ص: ١٦٤.
٩٩. سالم، المغرب في العصر الإسلامي، ص: ٥٧٣.
١٠٠. ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص: ٢٧٤.

١٠١. سالم، المغرب في العصر الإسلامي، ص: ٥٧٣.
١٠٢. ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص: ٢٦٩.
١٠٣. الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرهم، ص: ٦٨.
١٠٤. ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص: ٢٧١.
١٠٥. ابن عذاري، المصدر نفسه، ج١، ص: ٢٧١.
١٠٦. ابن خلدون، العبر، ج٤، ص: ٦٦.
١٠٧. ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص: ٢٧٧. ابن خلدون، العبر، ج٤، ص: ٦٦.
١٠٨. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص: ٦٣.
١٠٩. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٢، ص: ٣٢٤.
١١٠. سالم، المغرب في العصر الإسلامي، ص: ٥٧٤.
١١١. الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر، ج٢، ص: ١٣٤.
١١٢. كان المعز يخاطب الوزراء الفاطميين في كتابه إليهم: عبدكم، وصار يقول في كتابه إلى اليازوري: صنيعتكم (الناصري، الاستقصا، ج٢، ص: ١٦٥) .
١١٣. الناصري، الاستقصا، ج٢، ص: ١٦٤– ١٦٥.
١١٤. حسن إبراهيم حسن، الدولة الفاطمية، ص: ٢٥٣.
١١٥. ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص: ٢٧٧– ٢٧٨.
١١٦. العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج٢، ص: ٧٨.
١١٧. المرجع السابق، ج٢، ص: ٧٨.
١١٨. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص: ٢٣٤.
١١٩. ابن خلكان، المصدر نفسه، ج٥، ص: ٢٣٤.
١٢٠. Holt, The Cambridge History of Islam, p. p. 220
١٢١. سالم، المغرب في العصر الإسلامي، ص: ٥٧٥.
١٢٢. ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص: ٢٧٨.
١٢٣. ابن خلدون، العبر، ج٦، ص: ١٦٠.
١٢٤. خطاب، قادة فتح المغرب العربي، ج٢، ص: ٢٢٩.
١٢٥. سورة آل عمران، آية ٨٥.
١٢٦. ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص: ٢٧٨.
١٢٧. ابن عذاري، المصدر نفسه، ج١، ص: ٢٧٨.
١٢٨. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص: ٦٣.

١٢٩. ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص: ٢٨٠.
١٣٠. حسن إبراهيم حسن، الدولة الفاطمية، ص: ٢٥٤.
١٣١. فرهارد دفتري، مختصر تاريخ الإسماعيلية، ص: ١٨١.
١٣٢. الجيلاني، تاريخ الجزائر العام، ج٢، ص: ٢٥٨.
١٣٣. المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص: ١٩٥.
١٣٤. الناصري، الاستقصا، ج٢، ص: ١٣٨.
١٣٥. ابن فرحون، الديباج المذهب، ص: ١٦١. ابي العرب تميم، طبقات علماء إفريقية، ص: ٨١.
١٣٦. ابن فرحون، المصدر نفسه، ص: ١٦١. ابي العرب تميم، طبقات علماء إفريقية، ص: ١٠١.
١٣٧. العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، ص: ٣٢٢.
١٣٨. سالم، المغرب في العصر الإسلامي، ص: ٥٧٨.
١٣٩. سالم، المرجع نفسه، ص: ٥٧٨.
١٤٠. العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج٦، ص: ٩١.
١٤١. العدوي، تاريخ العالم الاسلامي، ج٢، ص٢١٩.
١٤٢. الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج٢، ص: ٢٥٩.
١٤٣. الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر، ج٢، ص١٤٨.
١٤٤. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص: ٦٥.
١٤٥. مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص: ١٤٦.
١٤٦. ابن خلدون، العبر، ج٦، ص: ١٦.
١٤٧. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص: ٦٤.
١٤٨. مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص: ١٤٧.
١٤٩. ابن خلدون، العبر، ج٦، ص: ٢٠.
١٥٠. الناصري، الاستقصا، ج٢، ص: ١٦٥.
١٥١. سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج٣، ص: ٤٢١.
١٥٢. الناصري، الاستقصا، ج٢، ص: ١٦٥.
١٥٣. الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج٢، ص: ٢٥٩.

١٥٤. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص: ٦٥.

١٥٥. ابن خلدون، العبر، ج٦، ص: ٦٦.

١٥٦. سورة الأنفال، آية: ٤٢.

١٥٧. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص: ٦٥.

١٥٨. سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج٣، ص: ٤٢٢.

١٥٩. الناصري، الاستقصا، ج٢، ص: ١٦٥.

١٦٠. الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر، ج٢، ص١٤٩.

١٦١. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص: ٦٥.

١٦٢. مؤنس بن يحيى الرياحي: هو أول من وصل إلى المغرب حسب رواية ابن خلدون، وهو أمير رياح، وقد وصفه ابن عذاري بأنه كان سيداً في قومه شجاعاً عاقلاً، وأن المعز حاول أن يكسبه إلى جانبه.

١٦٣. الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر، ج٢، ص١٤٨.

١٦٤. ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص: ٢٨٨.

١٦٥. المصدر نفسه، ج١، ص: ٢٨٨– ٢٨٩.

١٦٦. المصدر نفسه، ج١، ص: ٢٨٩.

١٦٧. المصدر نفسه، ج١، ص: ٢٨٩.

١٦٨. سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج٣، ص: ٤٣٩.

١٦٩. ابن خلدون، العبر، ج٦، ص: ١٨٠.

١٧٠. سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج٦، ص: ٤٣٩.

١٧١. ابن خلدون، العبر، ج٦، ص: ١٨.

١٧٢. أصهر المعز بن باديس إلى فارس بن أبي الغيث وأخوه عائدٌ، وإلى الفضل بن علي المرادي (ابن خلدون، العبر، ج٦، ص: ١٩.) .

١٧٣. Holt, The Cambridge History of Islam, p. p. 221

١٧٤. ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص: ٢٩١.

١٧٥. سالم، المغرب في العصر الإسلامي، ص: ٥٨٤.

١٧٦. Holt, The Cambridge History of Islam, p. p. 221

١٧٧. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٢، ص: ٣٢٥.

١٧٨. سالم، المغرب في العصر الإسلامي، ص: ٥٨٥.

١٧٩. حسن إبراهيم حسن، الدولة الفاطمية، ص: ٢٥٤– ٢٥٥.
١٨٠. مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص: ١٥١.
١٨١. سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج٣، ص: ٤٣٩.
١٨٢. الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج٢، ص: ٢٦٠.
١٨٣. الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر، ج٢، ص١٥٣.
١٨٤. المرجع نفسه، ج٢، ص١٥٣.
١٨٥. سالم، المغرب في العصر الإسلامي، ص: ٥٨٥.
١٨٦. سالم، المرجع نفسه، ص: ٥٨٧.
١٨٧. محمود السيد، تاريخ دول المغرب العربي، ص: ١٢٢.
١٨٨. العدوي، تاريخ العالم الاسلامي، ج٢، ص٢٨٥.
١٨٩. العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج٢، ص١٩٣.
١٩٠. محمود السيد، تاريخ دول المغرب العربي، ص١٢٢.
١٩١. مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص: ١٥٠.
١٩٢. الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر، ج٢، ص١٥٧.
١٩٣. حسن محمود أحمد، الإسلام والثقافة العربية في إفريقية، ص: ١٣٣.
١٩٤. المرجع السابق، ص: ١٣٤– ١٣٥.
١٩٥. الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر، ج٢، ص١٥٣.
١٩٦. محمود السيد، تاريخ دول المغرب العربي، ص: ١٢٢.
١٩٧. سالم، المغرب في العصر الإسلامي، ص: ٥٨٧.
١٩٨. محمود السيد، تاريخ دول المغرب العربي، ص: ١٢٢.
١٩٩. العبادي، تاريخ اللغة العربية في مصر والمغرب الأدنى، ص: ٢٩٤.
٢٠٠. مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص: ١٤٨– ١٤٩.
٢٠١. الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر، ج٢، ص: ١٥٧.
٢٠٢. العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج١، ص: ٩٣.
٢٠٣. سالم، المغرب في العصر الإسلامي، ص: ٦٠٤.

تعريف بأهم الأماكن:

١. **اجدابية**: تقع بين برقه وطرابلس وبينها وبين زويلة مسير نحو شهر (ابن حوقل، صورة الأرض ص٦٩) ، وهي مدينة كبيرة في الصحراء، آبارها منقورة في الصخر، طيبة الماء وبها عين ماء عذبة ولها بساتين لطاف، ونخل يسير، وبها جامع وله سوق عامرة (البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص٤) .

٢. **أشير**: مدينة جبلية في المغرب مقابل بجاية، وكان أول من عمرها زيري بن مناد الصنهاجي وكان سيد قومه، وهو جد المعز بن باديس الصنهاجي، شرع في بنائها سنة ٣٢٤ هـ فأتمها على أحسن حال وعمل على جبلها حصنا مانعا ليس إلى المتحصن به طريق إلا من جهة واحدة، (ياقوت، ج١ ص٢٠٢– ٢٠٣)

٣. **أصيلا**: تقع مدينة أصيلا غربي طنجة، بينهما مرحلة وهي أول مدن العدوة من جهة الغرب، وهي سهلة من الأرض حولها رواب لطاف، والبحر بغربها وجنوبها، وكان عليها سور، ولها خمسة أبواب فإذا ارتج البحر بلغ الموج حائط الجامع، وسوقها حافلة يوم الجمعة (البكري، المغرب، ص١١١) .

٤. **باجة**: مدينة كبيرة عليها سور حجارة قديم (اليعقوبي، البلدان ص١٠٦) وهي قريبة من مدينة تونس (دبوز، ج٢، ص٤٠٦) .

٥. **برقة**: تقع بين الإسكندرية وافريقية وهي تشتمل على قرى ومدن كثيرة، وأرضها محمره، ويحيط بها البربر من كل جانب، أهلها يشربون من ماء السماء الذي يجري في أودية ويخزن في برك أو في أبار، وهي مدينة قريبة من الساحل (ياقوت، معجم، ج١، ص٣٨٩) .

٦. **بونة**: مدينة حصينة في افريقية، تقع على البحر وهي مدينة مقتدرة كثيرة الرخص والفواكه والبساتين القريبة، وأكثر فاكهتها من باديتها، وبها معدن الحديد، (ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٥١٢) .

٧. **تاهرت**: اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب، يقال لاحدهما تاهرت القديمة وللأخرى تاهرت المحدثة، بينها وبين المسيلة ست مراحل، وهي بين تلمسان وقلعة بني حماد، وهي كثيرة النداء والضباب والأمطار، حتى أن الشمس بها قل

أن ترى (ياقوت، معجم، ج٢، ص٧) بينها وبين البحر المالح مسير ثلاث رحلات وفي بعضها سباخ ووادٍ يقال له وادي شلف (اليعقوبي، كتاب البلدان، ص١١٣).

٨. **تلمسان**: في المغرب وهما مدينتان متجاورتان مسورتان، بينهما رمية حجر، أحداهما قديمة ولأخرى حديثة والحديثة بناها الملثمون ملوك المغرب، ومنها إلى وهران مرحلة، (ياقوت، معجم، ج٢، ص٤٤).

٩. **جبل درن**: منطقة جبلية قريبة من سجلماسة (ياقوت، ج٣، ص١٩٢). وهو متصل بالسوس، يسميه أهل السوس درن، ويسمى بتاهرت جزول، ويسمى بالزاب أوراس. وهو كثير الينابيع (اليعقوبي، البلدان، ص١١٤). ويوجد به العديد من البلدان والقرى يسكنها عدد من قبائل البربر (ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٤٥٢).

١٠. **جزيرة جربة**: هي جزيرة من ناحية افريقية قرب قابس يسكنها البربر، فيها بساتين كثيرة وزيتون وقد ذكر البكري أن أهلها مفسدون في البر والبحر وهم خوارج. (البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص١٩).

١١. **سجلماسة**: مدينة في جنوب المغرب في طرف بلاد السودان، بينها وبين فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب وهي في منقطع جبل درن وهي في وسط رمال، يمر بها نهر كبير وبها بساتين مزروعة بأشجار النخيل والاعناب (ياقوت، معجم البلدان، ص١٩٢).

١٢. **سرت**: مدينة تقع على ساحل البحر المتوسط بين برقة وطرابلس، وعليها سور من طوب وبها حمام وجامع وأسواق ولها ثلاثة أبواب وفيها نخل وبساتين (ياقوت، ج٣، ص٢٠٦).

١٣. **سطيف**: مدينة في جبال كتامة بين تاهرت والقيروان من ارض البربر في بلاد المغرب وهي صغيرة، إلا أنها ذات مزارع وعشب عظيم (ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٢٠).

١٤. **سوسه**: مدينة عظيمة في المغرب يفصلها عن المغرب ثلاثون ميلا وهي مدينة محاط بالبحر من ثلاث نواحٍ من الشمال والجنوب والشرق ولها سور يضرب فيه البحر ولها ثمانية أبواب (ياقوت، معجم البلدان، ص٢٨٢).

١٥. **صبرة**: بالفتح ثم السكون ثم راء، بلد قريب من مدينة القيروان وتسمى المنصورية من بناء مناد بن بلكين (ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٣٩١) .

١٦. **قابس**: تبعد ست مراحل عن القيروان، وهي ذات مياه وأشجار، وعليها سور يحيط به خندق ولها اسواق، ويعمل بها الحرير الكثير وبها تدبغ الجلود وتوزع إلى اكثر بلاد المغرب، (ابن حوقل، صورة الأرض، ص٧٢) .

١٧. **قسنطينة**: مدينة مغربية كبيرة آهلة بالسكان ذات حصانة ومنعة، وتقع على ثلاثة انهار أحاطت بها، تخرج من عيون تعرف بعيون اشقار، تفسيره سواد، (ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٣٤٩) .

١٨. **المهدية**: بناها المهدي بالقرب من تونس، والسبب في ذلك يرجع إلى شعور الفاطميين بالحاجة إلى مكان حصين يحتمون به ويكون تموينه من البحر إبان الازمات (ألعبادي، في التاريخ الفاطمي، ص٢٣٢) .

١٩. **ميلة**: مدينة عظيمة عامرة محصنة قريبة من سواحل البحر كثيرة الأشجار والثمار (اليعقوبي، كتاب البلدان، ص١٠٨) بينها وبين بجاية ثلاثة أيام، وهي اصل مدن الزاب، في وسطها عين تعرف بعين أبي السباع مجلوبة تحت الأرض من جبل بني ساورت (ياقوت، معجم البلدان، ص٢٤٤) .

المصادر والمراجع:

أولاً ـ المصادر:

١. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير (تـ ٦٣٠هـ) ، الكامل في التاريخ، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا، بيروت، دار المعرفة، ط١، ٢٠٠٢، ج٧.

٢. أبي العرب تميم، أبي العرب محمد بن أحمد بن تميم (تـ٣٣٣هـ) ، طبقات علماء إفريقية، بيروت، دار الكتاب اللبناني.

٣. ابن حوقل، أبي القاسم بن حوقل النصيبي (توفي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري) ، صورة الأرض، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٩٢م.

٤. ابن الخطيب، الوزير أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي الأندلسي الشهير بلسان الدين بن الخطيب (تـ٧٧٤هـ) ، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، تحقيق سيد كسروي حسن، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٣، ج٢.

٥. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي، تاريخ ابن خلدون (تـ٨٠٨هـ) ، المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، علق عليه تركي فرحان المصطفى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٩٩٩م، ج٤، ج٦.

٦. ابن خلكان، أبو العباس، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (تـ٦٨١هـ) ، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٩٤م.

٧. ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س. كولان وليفي بروفنسال، بيروت، دار الثقافة، ط٥، ١٩٩٨، ج١.

٨. ابن فرحون، الإمام القاضي إبراهيم بن نور الدين المعروف بابن فرحون المالكي (تـ٧٧٩هـ) ، الديباج المذهب في معرفة أعيبان علماء المذهب، تحقيق مأمون بن محيي الدين الجنّان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٦م.

٩. البكري، أبي عبيد (تـ٤٨٧هـ) ، الغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي.

١٠. الصنهاجي، أبي عبد الله محمد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق جلول أحمد البدوي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتب، ١٩٨٤م.

١١. المقدسي، المعروف بالبشاري (تـ٣٨٨هـ) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٧م.
١٢. المقريزي، أبي العباس تقي الدين أحمد بن علي (تـ٨٤٥هـ) ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠١م، ج٢.
١٣. الناصري، الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد (تـ١٣١٩هـ) ، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٥٤م، ج١، ج٢.
١٤. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (تـ٦٢٦هـ) ، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ط٢، ١٩٩٥م.
١٥. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب المعرف باليعقوبي (تـ٢٨٢هـ) ، كتاب البلدان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٩٨٨م.

ثانياً ـ المراجع العربية:

١. جلال، إبراهيم، المعزل لدين الله، دار إحياء الكتب العربية.
٢. الجيلالي، عبد الرحمن بن محمد، تاريخ الجزائر العام، الجزائر، ديوان المطبوعات العام، ط٤، ١٩٨٢، ج٢.
٣. حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية، مصر، مكتبة النهضة المصرية.
٤. خطاب، محمود شيت، قادة فتح المغرب العربي، دار الفكر، ط٧، ١٩٨٤م، ج٢.
٥. دفتري، فرهارد، مختصر تاريخ الإسماعيلية، ترجمة سيف الدين القصير، دمشق، دار المدى للثقافة والنشر، ط١، ٢٠٠١م.
٦. سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة.
٧. السيد، محمود، تاريخ دول المغرب العربي (ليبيا، تونس، المغرب، موريتانيا) ، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة.
٨. العبادي، أحمد مختار، تاريخ اللغة العربية في مصر والمغرب الأدنى، عالم الكتب، ١٩٩٢.
٩. العبادي، أحمد مختار، في التاريخ العباسي والفاطمي، بيروت، دار النهضة للطباعة النشر.

١٠. عبد الحميد، سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي (الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين) ، الإسكندرية، منشأة المعارف، ٢٠٠٤، ج٣.

١١. العدوي، ابراهيم احمد، تاريخ العالم الاسلامي، عصر التنمية والعطاء، ج٢، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٤ م.

١٢. العروي، عبد الله، مجمل تاريخ المغرب، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٤، ج٢.

١٣. مؤنس، حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة، دار مطابع المستقبل، ط١، ١٩٨٠.

١٤. محمود، حسن أحمد، الإسلام والثقافة العربية في إفريقية، القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠٠٢م.

١٥. الهلالي الميلي، مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزائر، مكتبة النهضة الجزائرية، ط١، ١٩٦٣م، ج٢.

ثالثاً ـ المراجع الأجنبية:

1. *The Encyclopedia of Islam, volume 11, Leiden, E. J. Brill, 1991.*
2. *Holt, Philip. K., History of The Arabs, The Hong Kong printing press 1970.*